نافذة

خطوة إلى الأمام

هي كل ما نحتاجه لحظة إدراكنا أننا نراوح في المكان، فالخيال الساكن يدعو إلى المجازفة من أجل إحداث شيء، يقودنا نحو الأمام، حيث المستقبل الممتلئ بالعقل والتأثير، والشغل والاشتغال المدخلين الرئيسين للطمأنينة، دعوة للثقة ببعضنا مجدداً، فكرة مكتظة بالحكمة والعقل، تكتمل وتتكامل بالإصرار على الاندفاع، لتشكل متراساً يستند إليه الجميع، بعد أن نعرف ونتعرف إلى مكانها ومكانتها، ودورها الدقيق في دوران العجلة الاجتماعية المولدة للقوة الاقتصادية المريحة، وغير المربكة للنظام السياسي القائم.

نهوض الدولة من جديد، وتفعيل حسّ مواطنيها بها بعد البحث العميق في مواردها البشرية، وبناء نظام تعلمي، يأخذ بالحاجة الماسة لتعديله، بالتوازي مع منظومة الفكر الديني وضرورة تطوير جوهره، لا أن نبقي عليه، ونقول: إن التجديد يكون في المظهر، كما أن دعوة النخبة من جميع المحاور مع النخب الشبابية المختارة بوجدان الحاجة إليهم، لا بطرق الوساطة وتحميلهم الفكر الوجداني الوطني أولاً وأخيراً، تشكل خطوة مدروسة ذات قيمة، تنطلق بجميعنا إلى الأمام.

كارثة بلدنا استمرار التعلق بالسذاجة أمام الذكاء غير المستثمر، والعاطفة أمام الدهاء السائد، والدين أمام العلم، والجهل بدلاً من البحث، فيما نحن عليه، بينما يعتبر الآخر المتقدم أن الذكاء هو أخطر أنواع الأسلحة التي قادته للتمتع بقيادة كامل المكونات الحياتية وأجناسها، فاستثمره خير استثمار، ومشكلة العوالم العربية، ومنها عالمنا السوري في فسح استخدام معدلات الذكاء الدنيا، بدلاً من العمل على تطويره، والامتحان الدائم بين العالم وبيننا، هو عملية استثمار ذكاء الأذكياء الباحثين الحقيقيين والواقعيين عن التقدم، لغاية الانتقال إلى الأمام من الحاضر بعد دراسته وتحليل ما فيه من آلام، والذي ما كان ليكون شكله، لولا اتكاء نخبه الفكرية والقيادية على الماضي، واسترخاؤهم لما تحقق، وتحدثهم المفاخر به في حاضرهم، فاستطابوا للغفوات التي سيطرت عليهم، فتاهوا في الغفلات التي فجرت استباحة العقول، وتم غزوها بأفكار الانقلاب على الواقع بكل ما يحتويه، والغاية العودة لذاك الماضي الممتلئ بالآثام.

رغم الأحاديث المعمقة التي أعدت مشاريع سابقة، نفذت تفتيت العالم العربي إلى عوالم وضربه ببعضه، والتي بدأت منذ بدايات السبعينيات من خلال أحاديث كيسنجر الموثقة التي قال فيها: علينا بضرب الإسلام ببعضه، وألا نترك للتهدئة حضوراً، علينا أن نشاغلهم دائماً برمي الفتن بين السنة والشيعة، وفي داخل المذهب الواحد، وكذلك هلاّ تفكرنا فيما خطه مستشار البيت الأبيض برنارد لويس لعهود حول تقسيم العالم العربي والإسلامي إلى ثمان وثمانين دولة وقوله: (إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات، وتقوض المجتمعات، والحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية).

والشواهد كثيرة، والحروب التي وقعت توثق بأنهم يعملون ضمن إستراتيجية دقيقة مرعبة؛ فأين نحن من كل ما يحصل؟ وها هو وزير دفاع إيطاليا، يقف بكل وقاحة أثناء اجتماع وزراء الدفاع في أوروبا والأطلسي ليقول: لا أحد يتحدث عن ليبيا، إنها حصتنا، ويقصد طبعاً مستعمرته، وهذا يوضح لنا، أننا مازلنا تحت خط عرض ٣٠° الواجب استعماره والمقرر ضمن اتفاقية سايكس بيكو الموقعة عام ١٩١٦، وها نحن على أبواب ٢٠١٦ أي بعد مئة عام، نخوض غمار البحث عن وجودنا وهويتنا وانتمائنا، فتحت أي مظلة نكون؟ لفرنسا، لبريطانيا، لأمريكا، لروسيا، للصين، لإيطاليا، لكندا، لمن ندين، ولمن نتبع، بعد أن كنا إلى حين تحت نيرانهم المباشرة؟ هل في اعتقادكم أيها السادة أننا ابتعدنا عنها؟ هل نمتلك الجرأة، ونسأل نحن السوريين حصة من؟ وإلى أين ذاهبون؟ وبشكل أدق؛ هل ننتظر أن نتحول إلى حصة بكوننا نراوح في المكان، على الرغم من محاولات مهمة قامت بها الإرادة السورية بشخص قائدها الخالد والقائد الفيلسوف العَالِمْ خطونا بها إلى الأمام وإرادتهم إعادتنا إلى الوراء فهلَ نقدر من جديد أن نخطو خطوة إلى الأمام بعد كل هذه المصاعب نسأل لماذا؟! هل لأننا لم نؤمن يوماً ببناء وطن؟ وتفكيرنا منحصر في نهبه وإيداع ثرواتنا خارجه، ومن ثمّ ندمره، ونتدمر داخلاً وخارجاً، كيف يؤمن الآخر في عالم الشمال بوطنه، ونحن لا نؤمن إلا بالمفسر؟! هل فهمنا الأديان من الجوهر؟ أم تعلقنا بقشورها والمظهر؟ فبقينا مقلدين وتابعين وناقلين ومعترضين ومعتدين على بعضنا، أقوياء على جميعنا، نشهر السلاح والحقد والحسد، ونجيد النميمة والتقارير، ونصب الأشراك، ونتمتع بثقافة وحيدة هي ثقافة المكائد والإبادة والحسب والنسب، حتى إننا لا نعرف من ثقافة النكاح إلا نكاح الجهاد والشهوة والاغتصاب وحرمة نكاح المحارم، من دون وعي وإدراك، ننتظر المخلص الموعود فقط في عالم الجنوب، والمخلص لا يأتي إلا من الزواج المثلي، هكذا كانت فلسفة بني لوط، الديك يبيض في السنة بيضة، فلا بدّ أن يحبل الذكر ويلد، فإذا حدث كان هو المخلص، لأن الأنثى في العلم الديني نجسه، والذكر رأسها، وينبغي ضربها في المضاجع.

خطوة واحدة إلى الأمام، تحدث المعجزات، نقوم بها بعيداً عن تلك القادمة، والمتمركزة في الوضعية والثقافية والإلهية، تحتاجها مجتمعاتنا الآن؛ فهل نقدر أن نخطوها، كي ننتقل إلى الأمام حقيقة واقعاً، لا وهماً، ولا خيالاً، حيث يأمل كلنا أن تكون محسوبة بعلمية مؤطرة بالمعرفة، تدرس مسافتها وأبعادها، لتحمل البراغماتية من أجل الإمساك بإمكانيات الصواب المتوافرة بين مفاصل الأزمة العاصفة بنا بكثرة، أين نحن؟ طلب معرفة ينبغي على جميعنا تحديد النقطة أو الخط الذي نقف عليه؛ فهل يكون منه البداية الجديدة والجدية والتصدي المؤمن للمخاطر الجمّة التي تهدد وجودنا الوطني، سؤال واقعي يتداوله جميعنا؟ كان في السر وأصبح في العلن.

د. نبيل طعمة

شرائح المجتمع السوري في مواضعها دون لافتات وإعلانات

«بانتظار الياسمين» عدسة الواقع ورصد الغد القادم

الأسرة السورية التي شظتها الأزمة لكنها لم تقدر على جوهرها

إسماعيل مروة

الدراما في هذا الموسم تركت مجالاً لمقاربة الأزمة السورية، وربما كان لعامل الوقت الدور الأبرز في تقديم صورة فيها من القرب الواقعي ما فيها، وربما جاءت محملة عن الواقع البالغ القسوة، وإن كانت دراما العام الماضي قد اقتربت من الأزمة على استحياء في الداخل والخارج، فقد أخصلت هذا العام لها، وخاصة في أعمال منتجة داخل سورية، وأنجزها صنّاعها على الأرض السورية، وتحدوا كل الصعاب في صناعة الدراما.. ولا أبالغ إن قلت إن الدراما التي قاربت الأزمة وانتجت داخل سورية كانت أكثر واقعية ومصداقية وقوة وقسوة في الوقت نفسه، وقد تراوحت هذه المقاربات في تناولها حسب رأي كتابها وصناعها، فمنها أعمال حاولت أن تأخذ مكاناً ليست فيه لتمارس عملية التشريح، ومنها أعمال اكتفى أصحابها بما هو أمامهم، فشرحوا وتعمقوا في وجدان الإنسان السوري وهمّه الاجتماعي، ومنها أعمال فرضت طبيعتها أن تقدم لوحات تقارب ما يحدث بأسلوب ساخر تصل سخريته الروح، ولكنها تبقى مجرد فشة خلق لا تظهر عمق المعاناة.

بانتظار الياسمين

عمل مهم للغاية، وقد قرأنا الكثير عنه في مراحل إنجازه، وها نحن نشاهده في رمضان، ويقدم لنا ملحمة إنسانية لكل إنسان سوري، وقد حرص الكاتب أسامة كوكش، بإصرار أو بصورة عفوية أن يكون خارج إطار التأطير والانحياز، ولم يدخل عوالم ليست عوالمه، فلم نشاهد كواليس الأجهزة الأمنية، ولم يدخل في صميم الجانب الآخر بأطرافه المتعددة، بل قصد عمداً إلى المجتمع السوري بشرائحه كافة من خلال الأسر التي تقيم مشردة في حديقة عامة، والخيوط الدرامية تصلها بالعالم الخارجي المحيط المماثل أحياناً بفارق التشرد، والميسور، ليقدم تشريحاً مجتمعياً مهماً.. حكايات متعددة وخطوط درامية للمجتمع السوري قبل الأزمة تجلوها الحوارات والفلاش باك، هذا المجتمع المتعدد القائم على الفهم والقبول، مع وجود اعتراضات كانت وراء تمزقه، والبحث عن ملاذات أخرى، يصعب اختصار هذه الخطوط التي أدارها بحنكة سمير حسين مخرجاً، وأداها ببراعة عدد من نجوم وممثلي سورية، فسلاف فواخرجي قدمت دوراً للذكرى والذاكرة، وصل مداه عند لحظة اغتصاب الزعران وتتابعهم على جسد امرأة ليس فيه أي شيء، وخاصة مع لقطات الصفع المتتابعة من زاهر الذي يريد للمغتصبة أن تجاوب وتنفعل، وصمتها وعيناها وحزنها كان مرتسماً ليقول للمشاهد: إنه أمام شخصية قد ترمز لسورية التي تنتهك وتغتصب في كل لحظة، سواء كان هذا الاغتصاب حقيقة أم تحرشاً.. علامة مهمة في مسيرة سلاف هذا الدور الذي أدته ببراعة، فزادت من فجائعية النص، وأعطت كاميرا المخرج أبعاداً إضافية بما ملكت من إحساس عال، وقراءة مهمة للدور ودلالاته، وغسان مسعود قدم الدور الأكثر تميزاً في هذا العمل، من حيث البساطة والنبرة والحركة فكان الرجل السوري الذي جار عليه الزمن، لكنه على الدوام يؤمن بأن الغد قادم، وأن الياسمين يزهر كل موسم، فلم تفت من عزيمته الكوارث التي تعصف به، ومحمود نصر كان ولادة نجم، وصباح جزائري حملت في علائم وجهها الأم السورية المنتمية الخائفة القوية القادرة، التي تعرف ما تريد وتتحدى كل شيء.. كل من في العمل أبدع، ولا أرد ذلك لإدارة المخرج وحده، فهم طاقات مذهلة، فهل يذهب في البال دور أبو الشوق للمبدع أيمن رضا، الذي بلغ الذروة في مشهد الاغتصاب، وجملته الدالة على تتابع الاغتصاب؟ ومحمد الأحمد العبثي المهموم في الوقت نفسه، محمد حداقي الذي كعادته يؤدي دوراً مهماً يبرع ما بين وظيفته ودافعه الإنساني، وكوامن محمد قنوع التمثيلية كانت واضحة، أما شكران فأستاذة في الإقناع، وسامر إسماعيل قدم لواعج روحه، والقائمة تطول لنادين ومعتصم النهار وزهير رمضان وعلي كريم وخالد القيش، والنجمة جيانا عيد التي أدت الدور الأمومي والدمع يطفح من عينيها، والأطفال والصبايا استطاع المخرج أن يخرج بأفضل ما لديهم.. مشاهد مؤثرة كالاغتصاب والتفجير والانتقام قدمها المخرج فكانت مؤلمة، لكنها لم تكن أكثر إيلاماً من واقع التشرد الذي يعاني منه الجميع، وهذا الواقع كان مربوطاً بعناية بالحاضنة الاجتماعية التي تظهر بجلاء أسباب الوصول إلى هذه الحالة، من تفكك أسري ومجتمع استهلاكي وبحث عن ملاذ بعد ضياع الحنان، ففي أسرة علي كريم يصدق عنوان البحث عن بيت دافئ، وفي أسرة فائق العرقسوسي البحث عن امرأة مثال، وهذا ما يدفع براءة سامر إسماعيل وحياته العابثة إلى العناية بأسرة ملكت مقومات الأم كما وجدها في الحديقة.

> غسان مسعود الإنسان السوري بعناد للحفاظ على الإباء والأرض

من الرئة إلى الرئة

إن كان ثمة ما يقال في أعمال قاربت الأزمة أو عالجتها، ففي بانتظار الياسمين نجد انتظار ما لا ينتظر، انتظار العاجز حيناً، وانتظار من يحاول أن يصل إلى الياسمين، ولكن عندما يحين موسم الياسمين هل يمكن أن نمارس عملية الانتظار، وهل الياسمين يستحق الانتظار أم البحث عنه؟! في قلب الأزمة، في رئتها كتب العمل وأخرج ورأى النور، ولم يستثن العمل أي شريحة من الشرائح التي تمثل المجتمع السوري، ودون مجاملة، استطاع العمل أن يضع هذه الشرائح في مكانتها دون أن يعمد إلى التنظير، ودون أن يلوح بمفهوم الوحدة الوطنية، بل كانت انتماءات الملل والطوائف شفافة للغاية، وكانت النتائج منطقية، فقد دفعت لمى المرأة نتيجة هذه الاختلافات البيئية والمذهبية، وكان الزوج تيم ضحية، وكان الضياع لثمرة التمرد من نصيب الأطفال! وأبو جوزيف ليس أكثر من شفاف يؤدي شخصيته ببراعة حسام تحسين بك، يحلم بنفسه ووحدته والآخر، لكنه لا يمارس عملية البطولة، بل يغلبه عجزه وسؤاله عن شيء ما، وموقف شكران من لمى يمتزج فيه الإحساس المريض في قضية الملل والطوائف، والغيرة من الجمال، فأدت ردود الفعل والتصرفات كما هي في الحقيقة، ولم يلجأ صناع العمل إلى التجميل ومحاولة إضفاء لمسة وطنية غير موجودة، وإن كان ثمة من تحول في موقفها، فكان الموقف مرتكزاً على اختطاف البنت وما تعرضت له لمى، فقد أعادتها المصائب إلى صوابها، وإحساسها بالخوف من أن تنال ما نالته لمى..! الألم الذي وحّدهما وجعل موقفها متغيراً.

وقد عمد العمل إلى سياسة مهمة وهي البحث عن عمل، مهما كان نوع هذا العمل، ليتمكن الإنسان من العيش، فما من أحد لا يعمل صغيراً أو كبيراً، وفي مواجهة عصابات السرقة قدّم العمل صورة متكاملة لهذه العصابات التي تلح في السرقة والتعدي على الآخرين، ومايز بين أنواع النفسيات التي تتخذ من الاعتداء على الآخرين غاية، والتي تتخذ من الإثراء غاية، نوعان متشابهان، لكن الأول يضيف الأذية للأشخاص بما يتجاوز حدود السرقة.

حالات جمالية

قدم حالات جمالية إلى العمل، لكن هذه الحالات الجمالية كانت متقدمة لا يستغنى عنها، فمقابل البنت الباحثة عن الحرية والمساكنة والمتعة تكون الأخت، وكأن كل واحدة منهما تمثل جانباً من الأسرة، واحدة تشبه والدها، والأخرى تترسم خطوات الأم، فجاءت الحالة الجمالية التي تمثل شريحة كبرى من الشباب السوري الذي يرفض القتل، والذي قد يفهم من جانب أنه مصنف، لكنه ليس كذلك على الإطلاق، فكانت الجولات بين عاشقين حالمين بسورية وياسمينها بين أورقة المتاحف والمساجد والكنائس ومعاهد التعليم للتدليل على الغد القادم بحالة جمالية تبحث عن الحياة ولا تنكفئ، وتعبر عن آرائها حيال ما يجري، وتؤدي دورها في التوعية، وكانت هذه الحالة معادلاً درامياً، معقولاً في مواجهة الجانب الآخر الأخت الباحثة عن الحرية، وهي ليست حالة سلبية بالمطلق، كما أن الحالة الجمالية ليست إيجابية بالمطلق، فمن هذه الحالة الجمالية انسربت العلاقة الخاصة إلى الأب الذي ينطلق في حالة تشبه حالة ابنته الأخرى الباحثة عن ذاتها والحنان، وتمكن المخرج من إيجاد حالة من التوازن لم تنجح بهذه الحالة إلى النتوء التنظيري، والحالة الأخرى التي عبر عنها العمل، فأجاد المخرج في تقديمها، حين أخذها على طزاجتها دون أن يعمل على تحميلها ما لا يمكن أن تحمله، وهي حالة العائلة الكردية، التي نكتفي برؤيتها وسماع أغنياتها دون أن يكون لأفرادها أي نوع من أنواع التنظير، عائلة كردية شأنها شأن الأسر السورية مهما كان انتماؤها تتعرض للتهجير، وتكون الحديقة ملاذاً لها، وها هو العزف والغناء باللهجة الكردية والنغمة الحزينة يهيمن بينما الكاميرا تقرأ ملامح سكان الحديقة، فتتوحد اللغة وإن كانت غير مفهومة، وخاصة مع أخذ الكاميرا لوجه الأم والأب الصامتين أبداً، لا لافتة ولا عبارات دالة على الوحدة الوطنية مهما كانت مهمة، ولا إغفال لدقائق وتفاصيل الحياة اليومية المستمرة رغم الأزمة، فمشكلات الناس لم تتغير على الرغم من الأزمة.

الياسمين سيزهر

الإنسان بمختلف توجهاته في العمل يؤكد أن الياسمين سيزهر، فلا القتل ولا التدمير ولا التهجير استطاع أن يأخذ من نفسية السوري وإبائه، فالنماذج على اختلافها تمتعت بواقعية مميزة، آمنت بالواقع وعاشته، وعينها ترقب الغد الآتي، وهذا يحمل رؤية تفاؤلية على الرغم من الفجائعية، وأزعم أن صناع العمل شأنهم شأن كل سوري طالته هذه الحرب بفاجعة، وكما أصرّ السوري على الحياة أصروا هم، وقدموا عملاً غير منحاز إلا للإنسان والمجتمع، وهذا المجتمع يستطيع أن ينهض من قلب الرماد مهما كان الرماد عالياً، السوري بحاجة لرؤية مثل هذا العمل المؤلم بمضمونه، الشفاف في طرحه، الذي يقتل الداخل، ولا يخدش الإحساس والحياء، بمفارقات قاتلة، عندما ينتهي تيم وذنبه الوحيد البحث عن ربطة خبز..!

كل من في الحديقة له حياته، وها هو يستمر في البحث عن عمل يعيش منه ليستمر دون أن يمارس التسول والاتجار بالجسد كما حاول كثيرون تصويره في أعمالهم، دون أن يهمل ما تتعرض له المرأة في الأزمة من عنف جسدي وجنسي، وما تتعرض له الطفولة من انتهاك وحرمان، لذلك يستحق منا هذا العمل المتابعة والإشادة، ومهما قيل فإنه مشروع اجتماعي يرقى إلى عدسة الواقع والحلم والمستقبل لسورية المفجوعة المغتصبة الراصدة بعينين قويتين إلى المستقبل.

> سلاف فواخرجي سورية المغتصبة ودور للتاريخ والذاكرة

هل ننتظر الياسمين؟

المحرر

عمره قصير ذلك الياسمين، وعبقه لا ينتهي وخاصة إن تحوّل إلى رمز ومدينة وأرض ووطن، وقبل عرض المسلسل كنت أرى اعتراضاً على العنوان، ففعل الانتظار فعل عاجز، وينطوي على مخاطر أكثر من أن تعدّ... والعجز لا يمكن أن يصنع الغد، والانتظار السلبي لا يقدم شيئاً، والياسمين لا يقترب من أحد لا يرعاه ويزرعه ويحتفي به، وينقل غرساته بين مختلف الأماكن، ليكون في الزواريب، وعلى أسيجة الدور والبنايات... صار في كل مكان، لكن في الشام يحمل نكهة أخرى ورائحة لا تغادره إلى مكان آخر... وبعد عرض المسلسل رأينا شخصيات العمل السورية البسيطة التي تتقدم من الحياة معتمدة العمل، فخورة بأرضها وحاضرها، واثقة من مستقبلها، لا تمارس البكائية المرضية على الحياة الماضية.

موفق ذلك الحديث عن سيدة تعمل في البيوت حتى لا تتسول، وتحفظ عفة بنتيها وطهارتهما، والأب الحرفي الماهر الذي يتجاوز ماضيه وعمره ليعمل حمالاً يستغني عن سؤال الناس، والفلاح الذي يزرع أرض الحديقة ليعيش، ويزرع في ذهن ابنه الكبير أن الزراعة هي القدر المكتوب لابن الأرض.. كل مجريات العمل لم تعتمد فلسفة الانتظار بقدر ما اعتمدت إظهار السوري الحقيقي الذي يتحدى أي ظرف، يبني بعد الخراب، يزرع بعد الهمجية، يؤمن بفلسفة التجذر!

وكم من مرة جاء على لسان الشخصيات ضرورة المواجهة والعمل والصبر، حتى الذي تحوّل إلى شخصية مأزومة لظرف أسري، وتحوّل إلى الشراب، انحاز إلى الناس وكان مواجهاً ومجابهاً، لايقبل إلا أن يكون خيطاً من خيوط النسيج السوري المصنوع جيداً بيد قدر لا يقدر أحد على تجاوز صنعتها.